﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: 37 - 39]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

وعـيـدٌ إلـهـيٌّ للكافرين بهلاكٍ مُـحـقَّـقٍ على خُـطـى الأُمـمِ الماضيةِ

لَمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى هلاكَ قومِ موسى وتدميرَهم لتكذيبِهم بآياتِ اللّهِ تعالى؛ ذكرَ قومَ نوحٍ الَّذين كذّبوا نبيَّهم، وأنّ إهلاكَهم كان بالماء، ثمّ ذَكَرَ جملةً مِنَ الأُمم الهالكةِ، وخَصَّ كلَّ أُمّةٍ منهم بنوعٍ مختلفٍ منَ العذاب؛ وذلك لإظهار قُدرته المُطلَقة تعالى، ومِن بين هذه الأُمم: عادٌ وثمودُ وأصحابُ الرّسِّ وغيرهم، وأنّ ما فعله بهؤلاء من عذابٍ، هو ما فعله بغيرهم منَ الأمم؛ تهديدًا للمُكذّبين من قوم رسول اللّه ﷺ، وتسليَةً لنبيّه، وتأسيَةً له، وبيانًا لتشريفه بالعفو عن أُمّته[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: (غرق) الإغراق: الإلقاء في الماء المُستَبحِر الَّذي يَغمُرُ المُلْقَى فيه، فلا يترك له تَنفُّسًا[2]، وكلّ ما جاء في القرآن الكريم منَ التّركيب هو مِنَ الغرق في الماء، عدا قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النّازعات: 1][3].

2) ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: (عتد) أصلٌ يدلُّ على الحضور والإعداد والقُرب، وعَتَدَ: هيّأ وأعدّ، والعَتادُ: الشّيء الَّذي تُعِدّه لأمر ما، وتهيّئُه

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 385 - 388.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 75.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غرق).

بحيثُ يكون حاضرًا وقتَ الحاجة إليه[1]، والعتاد والعُدَّة: ادّخار الشّيء قبل الحاجة إليه؛ كالإعداد[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ بمعنى: هيّأنا وأعددنا[3].

3) ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: بمعنى أصحابِ البئرِ الَّتي أصبحت عَلَمًا على بئرٍ لِثَمود باقيةٍ لهم[4]، والواردُ ذِكْرُهم في الآية هم قومٌ نزلوا عند بئرٍ كانت تُسمّى الرّسّ، فأهلكَهم الحقُّ سبحانه؛ وذلك لكُفرِهم برُسلهم، وقتلِهم نبيَّهم[5].

4) ﴿وَقُرُونًۢا﴾: (قرن) القرنُ: المُدّة منَ الزّمن، وهو الأُمّة كذلك، والقرن من النّاس: أهل الزّمان الواحد، ويجوز حملُه على اجتماعِ النّاس واقترانِهم في زمنٍ واحدٍ؛ فهو الأُمّة الَّتي تَلي الأخرى، والجيلُ الَّذي يلي الجيلَ، واختُلف في مُدَّته بين عشر سنين إلى مئةٍ[6]، ومعنى ﴿وَقُرُونًۢا﴾ في الآية: الأمم الكثيرة الَّتي تكونُ بين ذلك، وهم كلّ أهل عصر مقترِنون مدّة أربعين سنةً، وقيل: سبعون سنةً[7].

5) ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾: (مَثل) المَثَل: "شِبه الشّيء في المثال والقَدْر ونحوه، حتّى في المعنى، ويُقال: ما لهذا مَثيلٌ، والمِثال ما جُعِل مِقدارًا لغيره، وجمعه: مُثُل"[8]، والمَثل يأتي بمعنى الحديث والخبر، والأصل في (مثل) مناظرةُ الشّيء، وضَرْبُ المَثَلِ: جَعْلُه يسير في البلادِ؛ من قولك: ضَرَب في الأرض، إذا سار فيها[9]، وضَرْبُ الأمثال في الآية: بيانُ القِصَصِ العجيبةِ ممّا كان من أخبارِ القوم الأوّلين[10].

6) ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: (تبر) أصلٌ يدلُّ على الهلاك، وكلّ شيءٍ قمتَ بتكسيره وتفتيته فقد تبَّرتَه؛ والتّبار: الهَلاكُ والفَناء، يُقال: تَبَرَ الشّيءَ وتَبَّره، والتّضعيف للتّعدية، بمعنى: أهلكه، والتّتبير: التّدمير، ويُطلَق التَّبْرُ على ما كان منَ الزّجاج مُكَسّرًا، فالتَّبر: الكَسرُ والإهلاك،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (عتد).
(2) الرّاغب، المُفرَدات: (عتد)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 236.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (عتد).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (رس).
(5) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 539.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قرن).
(7) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 11/ 217.
(8) الخليل، العين: (مثل).
(9) ابن دُرَيْد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والعسكريّ، الوجوه والنّظائر: (مثل).
(10) النّسفيّ، حقائق التّأويل: 2/ 538.

وما ورد في القرآن الكريم منَ التّركيب كلُّه منَ التّبار بالمعنى المذكور، الدّالّ على الهلاك[1]، ومنه قولُه تعالى: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾؛ أي: أبَدْناهم إبادةً، وأهلكناهم إهلاكًا، واستأصلناهم استئصالًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قـوم نـوح عِـبرةٌ لـغـيرهـم من الـكـافـريـن، وعذابٌ مُهلك في الدّنيا والآخرة

يُذكّر الحقُّ ﷻ بقوم نوحٍ الَّذين كذّبوا نبيَّهم، وأنّ مَن كذَّب نبيًّا فقد كذّب الرُّسلَ كلَّهم؛ وذلك لأنّ الرّسل جميعًا جاؤوا بدعوة واحدة لعبادة اللّه وحْدَه، ويُبيّن أنّ عذابه لقوم نوحٍ كان عذابًا دنيويًّا مُهْلِكًا، فقد أهلكهم بالماء غرقًا، وجَعَلهم عبرةً للنّاس، وأنّ عذاب الكافرين في الآخرة سيكون أشدَّ من عذابهم في الدّنيا، ثمّ يُشير إلى بعض قصص الأُمم الَّتي أصابها الهلاك كعاد وثمود وأصحاب الرّسّ، وهم قومٌ كانوا يعبدون الأصنام؛ فأرسل اللّهُ تعالى إليهم نبيًّا يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده، فكذّبوا نبيّهم، فأهلكهم، فضلًا عن أممٍ كثيرةٍ هلكت بسبب كفرِها وتكذيبِها للرّسل، ثمّ يُبيّن المولى سبحانه أنّه قد بيّن للكافرين حُجّته عليهم، وأقام لهم الأمثالَ الَّتي توضّح حقّيّةَ دينِ الإسلام، ولكنّهم لم يُؤمنوا؛ فأهلكهم إهلاكًا لا مثيلَ له[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ عطفِ قومِ نوحٍ على قومِ موسى مع أسبقيَّتِهم عليهم:

تـشـابُـهُ عـذابِ قـومِ نـوحٍ مع قـومِ مـوسى بـالإغـراقِ العظيمِ

عطَفَ النّظمُ الجليل من قَصَص الأقوام السّابقين قِصّةَ قوم نوح ﷺ على قِصّةِ قوم موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾؛ لأنّهم أوّلُ الأُمم، ولِما في عذابهم منَ الفظاعة والهَول، ولِما بينَ العَذابيْن من تماثلٍ وتشابهٍ في كونهما إغراقًا إلَهيًّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تبر).
(2) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 268، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 75.
(3) الواحديّ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص: 779.

عظيمًا؛ وذلك جَزاءً لظُلْمهم وكفرهم، وقَدّم قِصّةَ موسى ﷺ؛ لأنّ السّياق في الكتاب في نفسه أوّلًا؛ وفي تنجيمه ثانيًا[1]، ويجوز أن يكون معطوفًا على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ فإنّه أراد أن يكون المقصودُ أن يصف قومَه بالتّكذيب، وأن يُخبر عنهم بالتّدميرِ والإهلاكِ[2].

عاملُ النّصبِ ودلالتُه في ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾:

ودمّـرنـا قـومَ نوحٍ وأغرقناهم بتكذيبِهم رسولَ ربِّهم

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ يجوز أن يكون محلُّه النّصبَ عطفًا على المفعول من قوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾، ويجوز أن يكون مسبوقًا بفعلٍ مُقدَّرٍ يُفسّره المذكورُ بعدَه من قوله تعالى: ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾[3]؛ فيكون على التّقدير الأوّل: (ودمّرنا قومَ نوحٍ)، ويكون على التّقدير الثّاني: (وأغرقنا قومَ نوحٍ)، والفرق بينهما فرقُ عمومٍ وخُصوصٍ، فالتّدميرُ: تعبيرٌ عن عموم العذاب، والإغراقُ: تعبيرٌ عن تعيينه وخصوصه، والجمعُ بينَهما مِنَ الحُسنَيَيْن؛ بعطف الخاصِّ على العامِّ؛ فيكون التّقدير: فدمّرنا قومَ نوحٍ وأغرقناهم بما كان من تكذيبهم رسولَ ربّهم.

الاعتبار طريق الوصول إلى الغفّار

ويجوز أن يكون النّصبُ بفعلٍ مُضمرٍ، تقديرُه: (واذكر قومَ نوحٍ ﷺ لمّا كذّبوا الرّسل)[4]، وهو نداء إلى الرّسول ﷺ، ومنه إلى أُمّته؛ أي: اذكر أيُّها العاقل المُعْتَبِرُ ما كان من شأن قوم نوحٍ، وتكذيبهم رسولَهم، فإنّ التّذكير بلاغٌ مبينٌ، وحُجّةٌ واضحةٌ، لِمَن كان له قلبٌ أو ألقى السّمعَ وهو شهيدٌ.

سِرّ الإضافة في ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾:

الاهتمامُ بقوم نوحٍ لأنّ حالَهم محلٌّ للعِظَةِ والاعتبارِ

التّعريفُ بقوم نوحٍ ﷺ في هذا السّياق بقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾

(1) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 13/ 385.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 26.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 483.
(4) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 538.

غرضُه الاهتمامُ بهم؛ لأنّ في ذِكرِ حالِهم مَحلًّا للاعتبار والدّرس، وتحذيرًا من مَخاطِر الكفر والظّلم، وتأكيدًا على عاقبة الكفر والعِصيان؛ فلذلك قدّم ذِكْرَهم، ثمّ أكّد بضميرهم زيادةً في الاهتمام[1].

بلاغةُ التّعبير بالشّرطيّة، وبيانُ فعلِها وجوابِها:

وُجِـدَ الإغـراقُ لوجودِ التّكذيبِ

﴿لَّمَّا﴾ حرفُ شرطٍ يقتضي جوابًا، ويختصّ بالماضي؛ فتوجد الثّانية لوجود الأولى، ويُعَبّر عنها بأنّها حرفُ وجودٍ لوجودٍ، أو وجوبٌ لوجوبٍ[2]؛ وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾؛ ففِعْل التّكذيبِ شرطُها، وفعلُ الإغراقِ جوابُها[3]؛ فالإغراق مُعلَّق بفعل التّكذيبِ، فعذابُ الإغراقِ لم يقع إلّا بسبب تكذيبِهم للرُّسل، وبيانُ الأسبابِ خِطابٌ للعقولِ إقناعًا لها، وفي التّعبيرِ بأسلوبِ الشّرطِ تبشيعٌ لتكذيبِ الرُّسلِ، وتهديدٌ للمشركين، وتعريضٌ بعذابِهم.

دلالةُ تضعيفِ الفعلِ ﴿كَذَّبُواْ﴾:

كـان تكذيبُهم عـلى الـغـايـةِ مـنَ الـشّـدّةِ والبشاعةِ

استُعمِل فعلُ التّكذيب مُضعّفًا في قوله تعالى: ﴿لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾؛ للإيذان بشدّة التّكذيب وبشاعته، وكثرةِ تكذيبِ قومِ نوحٍ لرسولهم؛ لِما يُفيده الفعلُ المُضعَّف من معنى المُبالَغة والتّكثير[4]، فكأنّهم لم يكتفوا بالتّكذيب؛ بل زادوا عليه عنادًا وظلمًا ووقاحةً.

معنى (أل) ودَلالتُها في ﴿ٱلرُّسُلَ﴾:

تـكـذيـبُ نـوحٍ تكذيبٌ للرّسلِ جميعًا

(أل) في لفظ ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ دالّةٌ على التّعريف العهديّ؛ والمُراد هو نوحٌ عليه السلام، فإنّ مَن كذّب رسولًا واحدًا بعينه، فهو مُكذِّبٌ للرّسل جميعًا، فهو جمع؛ ومعناه: الواحد[5].

الـدلالـة على الـجـنـس والحقيقة

ويجوز أن تكون (أل) في ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ دالّةً على الجنس والحقيقة؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 26.
(2) ابن هشام، مُغني اللّبيب، ص: 369.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 108.
(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 64.
(5) السّمعانيّ، تفسير القرآن: 4/ 20.

أيْ: إنّ هؤلاء لم يُكذّبوا رسُلًا بعينهم فحسْب؛ بل كذّبوا فكرةَ الرّسالة نفسَها، ومثال ذلك قولُهم: فلانٌ يركبُ الخيلَ، وما له إلّا فرسٌ واحدٌ[1]، فقد كذّب الكافرون فكرةَ وجودِ رسلٍ مُتعدّدين منَ اللّه تعالى.

نكتة التعبير بالرّسل جمعًا ﴿كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾:

الـدّلالـة على اتّفاقِهم جميعًا عـلى تـكـذيـب الرّسل

كما أن النّظم الكريم عبّر بالرّسل جمعًا مع أنّ قوم نوح كذّبوا رسولَهم؛ لاتّفاقِهم جميعًا على الاستدلال على تكذيب الرّسل، باستحالة إرساله تعالى البشرَ مُرسَلين بقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24]؛ والاتّفاق على الدّليل كما بيّنته سورةُ (المؤمنون) يُؤدّي للاتفاق على النّتيجة؛ "ففي ذلك التّكذيب استلزامُ تكذيبِ عموم الرّسل، ولاقتداء غيرهم بهم كونَهم أوّلَ من كذّب الرّسل[2].

انتماء المُكذِّبين إلى مَـذهـبِ القائلين بإبطال النُّبوّاتِ المُنكِرين للرّسل

يجوز أن يكون التّعبيرُ عن تكذيب قوم نوح ﷺ لنبيّهم بصيغة الجمع؛ لأنّهم كانوا ينتمون إلى مَذهبِ البراهِمةِ القائلين بإبطال النُّبوّاتِ المُنكِرين للرّسل جميعًا[3]، وتكذيبُهمُ الرّسلَ دالٌّ على تكذيبِهم نوحًا ﷺ، وفي ذلك إشارةٌ إلى وحدة رسالةِ الأنبياء جميعًا، وهي دعوة النّاس لعبادة اللّه تعالى وحده، فتكذيبُ قومِ نوحٍ لنبيّهم هو في الحقيقة تكذيبٌ لجميع الرّسل؛ لِما تحمِله رسالتُهم من وحدةٍ وترابط؛ ولأنّهم أتَوا بالمعجزات الدّالّة على صدقهم، فمن كَذّب شيئًا منه كذّب الجميع[4].

تبشيعُ التّكذيبِ الواقع من قوم نوحٍ

وفي التّعبير بالجمع عنِ المفرد أيضًا تبشيعٌ للتّكذيب؛ فقد أراد

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 95 - 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 26 - 27.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 459.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 385 - 386.

هنا تعظيمَ تكذيبِهم ذاك، فكأنّ نوحًا ﷺ يُمثِّل جميعَ الرّسلِ الَّذين كذّبهم قومُهم؛ فيكون الذّنبُ أعظمَ وأعظم.

سِرُّ إسنادِ أفعالِ الإغراقِ والجَعْلِ والاعتدادِ إلى ضميرِ العَظَمةِ:

إظهارُ قدرةِ اللهِ المُطلَقةِ وسلطانِه العظيم

أسنَدَ النّظمُ الكريم أفعالَ الإغراق والجَعْل والاعتداد إلى الضّمير (نا) العائد عليه سبحانه في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 25-28]؛ لإظهار قدرةِ اللّه المُطلَقة، وسلطانِه العظيم؛ فهو القادر على كلّ شيءٍ، وهو الَّذي يُهلك مَن يشاء، ويُنعِم على مَن يشاء؛ فإذا عُلِم ذلك كان رادعًا للنّاس منَ الوقوع فيما وقع فيه الظّالمون.

معنى الواو في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾:

عطفٌ على الإغراق لتصييرِهم عِبرةً وعِظَةً لغيرهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عاطفةٌ، فقد عطفَتْ هذه الجملةَ على ما تَقدّم[1] من جملة الإغراق، ومعنى الجملة أنّنا صيّرناهم عبرةً ودلالةً على قدرة الحقّ ﷻ، وفي ذلك تعزيةٌ للنّبيِّ ﷺ، وتخويفٌ للمشركين[2].

معنى اللّامِ ودلالتُها في قولِه: ﴿لِلنَّاسِ﴾:

جعلنا إهلاكَ تلك الأقوامِ آيةً للنّاسِ دون سِواهم منَ الخَلْقِ

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾ لإفادة التّخصيص وشِبه الملك[3]، فقد جعل اللّهُ تعالى قومَ عادٍ وثمودَ وغيرَهم آيةً للنّاس دونَ سواهم منَ الجنّ والملائكة والحيوانات؛ لِما في قصّة تلك الأقوامِ من عِبَر وعِظات تَخُصّ النّاسَ، كلَّ النّاس دونَ غيرِهم[4]، ولِما في عذابهم من دليلٍ على قدرة اللّه تعالى وعَظَمته، ممّا يُثير الخوفَ والرّهبةَ في قلوب النّاس.

(1) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 15.
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 340.
(3) وهو أحد معاني اللّام في كلام العرب، ينظر: ابن القيّم، إرشاد السّالك: 1/ 448.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 19/ 17.

معنى (اللّام) في ﴿لِلنَّاسِ﴾:

عِـبرةٌ لـلنّـاس جـميـعًـا هـلاكُ قـومِ نـوح غرقًـا جزاءَ تكذيبهم

اللّامُ في ﴿لِلنَّاسِ﴾ من قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ دالّةٌ على استغراق الجنس، فما فعَله الحقُّ ﷻ مع قوم نوحٍ - الذين كذّبوا رسولَهم فأخذهم الطّوفان وأغرقهم - جديرٌ بأن يكون عبرةً وعِظَة للنّاس جميعًا، فإنّ مصيرَ مَن يُكذّب الرّسلَ الهلاكُ والعذاب الأليم.

غرَضُ تقديم ﴿لِلنَّاسِ﴾ على المفعول ﴿ءَايَةً﴾:

مَـن لـم يَـعـتَـبِر بالآيات الرّبانيّة فهو منبوذٌ منَ الإنسانيّةِ

قُدِّم الجارُّ والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ إشارةً إلى أنّه يُعتَبر بهذه الآية والعَلامةِ النّاطقةِ المُخَصَّصة لبني الإنسان، فمَن لم يَعتَبِر بقِصّة قوم عادٍ وأضرابهم وعاقبةِ كفرهم؛ فقد خَرَج من دائرة الإنسانيّة؛ لضلاله وفسادِ إدراكه[1]، وانتفاءِ قدرته على التّفكير، وقد حَجَب نفسَه عنِ العِبَر والدّروس من هذه القصّة.

غرضُ تنكير ﴿ءَايَةً﴾:

الـعـمـومُ والـشّـمـولُ في آيـاتِ اللـهِ الكونيّةِ

جاء لفظُ الآية نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾؛ لما في التّنكير من معنى العموم والشّمول؛ فإنّها آيةٌ للجميع؛ آيةٌ للمُكَذِّبين، وقد تَبيَّنَ حُكْمُهم وهو الإهلاكُ والاستئصال، وآيةٌ للمُصَدّقين، وحُكمُهم النّجاةُ والخَلاص منه[2]، كما أنّ في التّنكير إيذانًا بعَظَمة العذاب؛ فقد كان عذابُ قوم نوحٍ عذابًا عظيمًا، تَمَثَّل بالطّوفان الّذي أغرق الأرضَ، وفيه اعتبارٌ وعِظَة لكلّ سامعٍ ومُشاهِدٍ[3].

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ دالّةٌ على العطف، فقد عَطَفتْ هذه الجُملةَ على جملة ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾[4]، والغرضُ: الرّبطُ بين عذاب قوم نوحٍ في الدّنيا، وعذابهم في الآخرة.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5280.
(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 26.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 218، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 196.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 27.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾:

أغرقناهم في الدّنيا وهيّأنا لهم عذابًا في الآخرة

التّعبيرُ بالفعل ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، معناه: هيّأنا وأحضرنا العذابَ الأليمَ للظّالمين في الآخِرة، بعد أن عذّبناهم في الدّنيا بالغَرق[1]؛ بما كان من تكذيبِهم نوحًا ﷺ، يعني: أنّ اللّه تعالى قد هيّأ وأعدّ كلَّ ما يلزم من عذابٍ بشكلٍ مُسبَّقٍ، تهيئةً قريبة جدًّا، وفيها إشارةٌ إلى قدرته تعالى على إنزال العذاب فورًا على وجهٍ ضخم؛ ممّا يدلّ على شِدّته وقوّته، وأنّ ما تمّ تهيئتُه من عذابٍ قد تمّ بعنايةٍ ودِقّةٍ وحُسْن تقديرٍ[2]، وفي ذلك تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ.

معنى اللّام في ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾:

تخصيصُ الظّالمينَ بالعذابِ المُعدِّ لهم في الآخرة

في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أدخل اللّامَ الدّالَّةَ على التّخصيص وشِبْه المِلْك[3] على لفظ (الظّالمين)، وهو تخصيصٌ تهكّميٌّ، يُرادُ منه التّقبيحُ والتّشنيعُ من حالهم، فكأنّ العذابَ الأليم قد خُصّصَ لهؤلاء القوم الموصوفين بالظّلم دون غيرهم.

واللّام الثّانية في قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ دالَّةٌ على استغراق الجنس؛ أيْ: كلّهم؛ فهو يشمل جميعَ الظّالمين في جميع العصور، وأنّ عذابَهم ناتجٌ عن ظُلمهم، ووضعهِمُ الأشياءَ في غير أماكنها الصّحيحة، ممّا يُخالف الفطرةَ والقانونَ الإلَهيَّ[4].

سِرُّ وضعِ المُظْهَر موضعَ المُضمَر:

عذابٌ أليمٌ ينالُ الظّالمين جميعًا بمَدعاةِ ظُلْمِهم

أظهر النّظمُ الكريم في موضعِ الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ تعميمًا لنَيل العذابِ الأليم لَمَن كان على شاكلتهم، وتعليقًا للحُكم عليهِم بالعذاب الأليم، بمَدعاة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 27.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 386.
(3) هو أعمّ معانيها في كلام العرب، الرّمّانيّ، منازل الحروف، ص: 50 - 51.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 386.

ما اتّصفوا به منَ الظُّلم والتّكذيب[1]، وعَبّر بالظّلم لشُموله الكُفرَ وغيرَه، فالتّعبيرُ به أعمّ، وفي الإظهار في موضِع الإضمار عنايةٌ ببيان السبب.

غرضُ تنكير ﴿عَذَابًا﴾ ووصفِه بـ ﴿أَلِيمًا﴾:

نُكِّر العذابُ ووُصفَ بالأليم في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ للدّلالة على شِدّته وفظاعته، ممّا يُثير الخوفَ والرّهبةَ في قلوبِ الكافرين؛ لأنّه عذابُ الآخرة، وأمّا عذابُهم الدُّنيويُّ فقد أخبر عنه من قَبلُ[2]، بأن أغرقَهم، وجعلَهم للنّاس آية.

الـدّلالـةُ على شِـدّة عـذابِ الآخِرة وفظاعتِه

معنى الواو في قولِه: ﴿وَعَادًا﴾:

الواو في قوله: ﴿وَعَادًا﴾ دالّةٌ على العطف، فيَحتمِل أن يكون معطوفًا على قوم نوحٍ؛ أيْ: ودمَّرنا عادًا، أو على المفعول من قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾؛ أيْ: وجعلْنا عادًا للنّاس آية، أو على محلِّ قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾؛ لأنّه على تقدير: ووعدْنا الظّالمين[3]؛ فيكون المعنى: ودمّرنا عادًا، وجعلناهم آيةً للنّاس، وأوعدناهم عذابًا أليمًا، ويجوز أن يكون ذكرُ عادٍ وثمودَ بعد ذِكر الظّالمين وما أَعَدّ اللّهُ تعالى لهم منَ العذاب الأليم هو من بابِ عطفِ الخاصّ على العامّ؛ لإفادة المُبالَغة؛ لأنّهم رؤوسُ الظّلمة الّذين يُجسّدون الذّروة في الظّلم[4].

ودمّـرنـا عـادًا، وجعلناهم آيةً، وأعـتـدْنـا لهم عذابًا أليمًا

غرضُ تقديمِ الأسماءِ الأربعةِ:

الأسماءُ الأربعة معمولةٌ لفعلٍ يدلُّ عليه الفعلُ ﴿تَبَّرْنَا﴾ المُتأخِّر، على تقدير: (تبَّرْنا عادًا وثمودَ وأصحابَ الرّسِّ وقرونًا آخرين)،

تـشـويـقٌ إلى معرِفةِ خبرِ عادٍ وثمودَ وأصحابِ الرّسِّ وغيرِهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 386، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 27.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 218.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 280، والسّمين، الدّرّ المصون: 8/ 483.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 236.

والأصلُ في المفعول أن يتأخَّر عن عامله[1]، لكنّه قدّمها تشويقًا وتطلّعًا إلى ما سيأتي من أخبار عنها[2].

سِرّ إضافةِ لفظ ﴿وَأَصۡحَٰبَ﴾ إلى ﴿ٱلرَّسِّ﴾:

﴿ٱلرَّسِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ بئرٌ عظيمة كبيرة، وهو اسمُ نوعٍ أطلقَه العربُ على أماكنَ كثيرةٍ من بلاد العرب، وقد أُضيفَ الأصحابُ إلى ﴿ٱلرَّسِّ﴾؛ لأنّ الحقّ ﷻ خسَفَ بهم في ﴿ٱلرَّسِّ﴾، أو لأنّهم نازلون فيه، أو لأنّ ﴿ٱلرَّسِّ﴾ كان من عمل أيديهم بأنْ حفروه، والإضافةُ هنا كتَسميَة أصحاب الأُخدودِ في أنّهم خَدّوهُ فأضرموه[3]، والإضافةُ تصِحّ بأدنى مُلابَسة لفظيّة أو معنويّة، كما هو مُقرّر في كلام العرب[4].

بئرٌ عظيمة احتَفروها، ونزَلوا على رأسِها، وخَسْفٌ أصابَهم فيها

سِرُّ عطفِ ﴿وَقُرُونَۢا﴾ على ما تقدَّمها منَ الأقوامِ:

عطفَ النّظمُ الجليل القرونَ على ما تقدّمها منَ الأقوام الَّذين كذّبوا رُسُلَهم بقوله تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا﴾؛ للإيذانِ بأنّ تلك القرونَ لم تختلف عمّن أهلكهم الحقُّ سبحانه، وذَكَرَهم في الآية؛ بل كانت على شاكلتهم منَ الكافرين والفاسقين[5].

سيرٌ على خُطى الكافرين، ودرسٌ من عذابِ القرونِ

سِرُّ ذِكْرِ ﴿وَقُرُونَۢا﴾ من غيرِ تسميتِها:

لَمّا ذَكَر تعالى نفرًا منَ الأقوام المُهلَكين الَّذين كذّبوا رسلَهم، وسمّاهم بأعيانهم بقوله تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾، عطفَ عليهم مثلَهم من غير أن يُسمّيَهم بقوله: ﴿وَقُرُونَۢا﴾، وإنّما ذكَرهم إجمالًا؛ لأنّ كلّ قرنٍ منها لم يكن في الشُّهرةِ وغرابةِ القِصَّةِ بمثابة الأُممِ المذكورةِ[6].

هذه القرونُ لم تكنْ في الشُّهرةِ وغرابةِ القِصَّةِ بمثابة الأُممِ المذكورةِ

(1) السّيرافيّ، شرح كتاب سيبويه: 1/ 372.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 27.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 27 - 28.
(4) الصّبّان، حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ: 2/ 356.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 197.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 219.

سِرّ تقييدِ القُرونِ بقولِهِ: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

لَمّا ذَكرَ تعالى القرونَ، وصفَهم بالظّرفِ المنصوبِ في قولِه: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾، والبينيَّةُ تدلُّ على أنّ هناك كثيرًا منَ الأُمم تخلَّلت تلك الأقوامَ، بَدءًا من قومِ نوحٍ[1].

دلالةُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ البعيدِ:

إيذانٌ بطولِ مُدَد هـذه الـقـرونِ وكثرتِها

يُفْهَم منِ استخدام اسم الإشارة مع حرف البُعد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أنّ الحقّ ﷻ يُشير إلى بُعْد زمنيٍّ كبير بينَهم وبينَ الأمم والشّعوب الّتي سبقتهم، ممّا يدلّ على طول مُدَد هذه القرون وكثرتها[2]، والفائدةُ مِن ذِكْرهم: الإشارةُ إلى أنّه تعالى أهلك أقوامًا بغير الماء؛ إظهارًا للقُدرة والعَظَمة والاختيار، فذَكَر عادًا وإهلاكَهم بالرّياح، وثمودًا وإهلاكَهم بالصّيحة، وأصحابَ الرَّسِّ الّذين أهلكَهم بالخَسْف[3]، فهذه أمثلةٌ على أنواع العذاب الّذي أهلك بهِ الأقوامَ الّذين ذكرَهم بعدَ قومِ نوحٍ عليه السلام.

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَكُلًّا﴾:

وحـذَّرنـا كـلَّ فـريـقٍ منـهـم بإيرادِنا الأمثالَ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ دالّةٌ على العطفِ، يتوسّط بينَها وبين (كلّ) فعلٍ محذوفٌ يدلُّ عليه ما بعدَه من قوله: ﴿ضَرَبْنَا﴾، على تقدير: أنذرْنا، أو حذّرْنا، أو خوّفْنا[4]؛ فإنّ ضربَ الأمثال يُراد منه التّخويفُ والتّحذير.

دلالةُ تنوينِ العِوضِ في ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا﴾:

ضربْنا الأمثالَ لمَن لم يُذكَر سببُ هلاكِهم، أو لجميعِ الأممِ

لفظ (كلّ) منَ الألفاظ المُلازِمة للإضافة معنًى لا لفظًا[5]، فيأتي مُنوَّنًا، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾، وهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 29.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 29.
(3) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 13/ 386 - 387.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 489.
(5) ابن مالك، شرح التّسهيل: 3/ 244.

تنوينُ عِوضٍ عنِ المضاف إليه، إمّا عنِ الأُمم الَّتي لم يُذكر أسبابُ إهلاكِهم، وإمّا عنِ الكلِّ، فإنَّ ما حُكيَ عن قومِ نوحٍ وقومِ فرعونَ تكذيبُهم للآياتِ والرُّسلِ، لا عدمُ التّأثّر منَ الأمثالِ المَضروبة[1].

الموقعُ النّحويُّ لقوله: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ﴾ ودلالتُه:

تفسيريّة دالّةٌ على العاملِ في (وكُلًّا)

قولُه تعالى: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ﴾ جملةٌ تفسيريّةٌ دالّةٌ على العاملِ في ﴿وَكُلًّا﴾؛ بمعنى: وأنذرنا أو حَذَّرنا كلًّا، بأن نضرب له الأمثال؛ لأنّ ضربَ المَثل يُراد منه الإنذارُ والوعظ والتّحذير[2]؛ وذلك ببياننا القِصَصَ العجيبة من قصص الأوّلين على لسان الرّسل، وما كان منهم من تكذيبِهم، وما جرى عليهم من عذابِ اللّه وتدميرِه[3].

سِرُّ إسنادِ ضربِ المَثلِ إلى ضميرِ العَظمةِ:

عَظمةُ اللهِ تعالى وقدرتُه في إيصالِ المعاني وسَحْق الكافرين وتَفتيتِهم

أُسْنِد ضربُ المَثل إلى الضّمير (نا) في قوله تعالى: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ﴾؛ لدلالة ذلك على عَظمة اللّه تعالى وقدرتِه على إيصال المعاني، وتقريبِ المَفاهيم؛ لتكون عِبرةً للنّاس وعِظَةً.

معنى اللّام في ﴿لَهُ﴾ ودلالتُها:

ضَربْنا الأمثالَ الَّتي استحقّها الكافرون بكُفرِهم وضلالِهم

اللّامُ الدّاخلةُ على الضّميرِ المَجرورِ في قولِه تعالى: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ﴾؛ لإفادةِ الاستحقاقِ[4]، في إشارةٍ إلى أنّ الأمثالَ المضروبةَ قد استحقّها الكافرون بسببِ كُفرِهم وضلالِهم، وأنّ الحقَّ تعالى قد ضَرَبَ الأمثالَ للكافرين ليُبيِّن لهم حماقتَهم وضلالَهم، وليُحَذِّرَهم من عذابِه.

غرضُ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ ﴿لَهُ﴾:

ضَربُ الأمثالِ هدايةٌ للأُممِ ورحمةٌ منه تعالى

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور على المفعول في قوله تعالى: ﴿ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ﴾؛ اهتمامًا بمَن ضُربَ له المَثلُ، وهو كلّ فريق منَ الأُمم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقلِ السّليم: 6/ 219.
(2) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 5/ 22.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 281.
(4) الزّجّاجيّ، اللّامات، ص: 65.

الماضية، فإنّه مَظْهَرٌ من مظاهرِ رحمته تعالى، في أن لا يُهْلِك الأُممَ إلّا بعد أن يسوق إليها ما يُرشِدها، فكأنّ ضَرْبَ المَثَلِ لهذه الأُمم مُختصٌّ بها وحدها؛ كي يكون كفيلًا بإرشادِها نحوَ طريقِ الحقِّ[1].

معنى (أل) في ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾:

(أل) في قولِه تعالى: ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ عهديّةٌ؛ فمعنى الأمثال المضروبة: القَصَص العجيب من قصص الأوّلين الَّتي تُشبه الأمثالَ في الغرابة؛ لكي نُرشدَهم إلى طريق الحقّ، ونُبيِّنَ لهم عاقبةَ الكُفر والظّلم، ونُبيّنَ لهم الحُجّةَ، فلا إهلاكَ قبلَ الإنذار، ولم يَضْرِبِ اللّهُ تعالى لهم الأمثالَ الباطلة، كما يفعله الكافرون الَّذين يُضلِّلون النّاسَ بما يزعمون من خرافاتٍ وأكاذيب[2].

أرشدناهم إلى طريقِ الحقِّ بإيرادِنا قَصَصَ الأوّلين العجيبَ

معنى التّنوينِ ودلالتُه في ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾:

تنوينُ لفظ (كلّ) في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ يُسَمّى تنوينُ العِوض[3]؛ تعويضًا من لفظٍ محذوف، والتّقدير: (وكلّ قرنٍ وأُمّةٍ منَ الأمم الَّتي كَذَّبت رسلَها عاقبناهم عقابًا شديدًا، وأهلكناهم إهلاكًا لا قيامَ له منه)[4]، وفي الحذف اختصارٌ وإيجازٌ، ولفظ ﴿وَكُلًّا﴾ منصوبٌ بإضمار فعلٍ يدلُّ عليه الفعلُ المُتأخّر ﴿تَبَّرْنَا﴾[5]؛ أيْ: وكلًّا منَ الأقوام الَّذين تقدّم ذِكْرُهم وغيرها تبّرناهم، وأهلكناهم بما كان منهم من كُفرٍ وتكذيبٍ، وهو من قَبيلِ الاشتغالِ[6].

عاقبةُ المُكذِّبين هلاكُ القرونِ كلّها

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 197 - 198.
(2) القنوجيّ، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9/ 311.
(3) قد يكون عوضًا من حرفٍ أو عوضًا من كلمةٍ، وهو الوارد هنا، أو عوضًا من جملةٍ، ينظر: المراديّ، الجَنَى الدّاني، ص: 145.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 198.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 29.
(6) أن يأتي اسمٌ منصوبٌ بعاملٍ لازمٍ إضمارُه على شريطة التّفسير، كقولهم: زيدًا ضربتُه، كأنّك قلتَ: ضربتُ زيدًا ضربتُه، لكنّه لا يَبرُزُ استغناءً بتفسيره، ينظر: الخوارَزميّ، التّخمير شرح المُفصّل في صنعة الإعراب: 1/ 384.

سِرُّ إسنادِ الفعلِ إلى الضّميرِ الدّالِّ على التّعظيمِ:

أُسنِد فعلُ التّتبير إلى الضّمير (نا) في قولِه تعالى: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾؛ لدلالةِ ذلك على عَظَمة اللّه تعالى وقدرتِه على إهلاك المكذّبين، وفي التّتبير تحذيرٌ منه تعالى للكافرين والضّالّين من عواقبِ كُفرِهم وضلالِهم بأنْ يسحَقَهُم ويُفتِّتَهُم.

لـدلالـةِ ذلـك على عَظمةِ اللهِ تـعـالى وقـدرتـه عـلـى إهـلاكِ المُكذِّبين

دلالةُ التّتبير، ووجهُ المَجازِ فيه:

التّتبيرُ هو مصدر الفعل (تَبَّرَ)، ويعني: التّفتيتَ والتّكسير للأجسامِ الصّلبة، وفي ذلك إشارةٌ إلى قدرة اللّه تعالى على تفتيتِ وتكسير الأقوى والأصلَبِ، ممّا يدلّ على عِظَم قُدرته وسُلطانه سبحانه، وأطلق التّتبير على الإهلاك على طريقةِ الاستعارة التّبعيّة في ﴿تَبَّرْنَا﴾، حيثُ تمَّ تشبيهُ الإهلاكِ بتفتيت وتكسير الزّجاج والحديد، وأمّا قولُه: ﴿تَتْبِيرًا﴾ فهي استعارة أصليَّة، إذ جَعَل (التّتبير) هو الإهلاكَ نفسَه[1].

أهلكناهم كما نَسْحَقُ الأجسامَ الصُّلبةَ ونُفتِّتُها

سِرّ توكيدِ التّتبيرِ بالمفعولِ المُطلَقِ:

لفظُ التّتبير في قولِه تعالى: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ منصوبٌ على أنّه مفعولٌ مُطلَق[2]، والغرضُ منه: توكيدُ عامله، وهو فعل التّتبير؛ لإفادة الهلاك الشّديد الواقعِ عليهم[3]، والمبالغةُ في هذا الفعل مُؤذِنةٌ بتوكيد وقوعه وتعظيمِه، وهو ما يقتضيه المقامُ بما كان من هؤلاء من عدم إجابة الدّعوة، وتكذيبِ الرُّسل، والمعنى: تَبَّرهم تتبيرًا عظيمًا بأنّ أهلكَ تلك الأقوامَ إهلاكًا ساحقًا، فجعلهم قِطعًا مُفتَّتةً تفتيتًا بليغًا، لا يَقدِر أحدٌ على لَمِّ شَعَثِهم، وإعادتِهم إلى ما كانوا عليه[4].

أهـلـكـنـاهـم إهـلاكًـا شـديـدًا هائلًا لا تتصوَّره العقولُ بموجِبِ تكذيبِهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 29.
(2) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 15.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 29.
(4) البقاعيّ، نَظْمُ الدّرر: 13/ 388.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القَرْنُ والأُمّةُ:

القَرْنُ: يقع على مَن يكون منَ النّاس في مُدّة زمنيّة محدودةٍ كسبعين سنةً[1]، أو أكثرَ من ذلك، أو أقلّ.

القَرْن: يقعُ على مَن يكون منَ النّاس في مُدّة زمنيّة وإنِ اختلفت ثقافاتُهم وأديانُهم

أمّا الأُمّة: فهو مصطلحٌ يُستعمَل عادةً لوصف مجموعاتٍ بشريّة تُميِّزُها سِماتٌ مُشترَكة، إلّا أنّ للأمّة معانيَ كثيرةً؛ كالجماعة، والمِلّة، والسِّنين، والحين، والإمام، والرَّجلِ العظيم، وغيرها[2]، الواردة آياتُها في القرآن الكريم.

وفي استعمال لفظ (القُرون) دون (الأُمّة) في الآيةِ سببان؛ **الأوّل:** التَّركيز على الزّمن في استعمال مُفرَدة القَرْن، والإشارة إلى مُدّةٍ زمنيّةٍ مُحدّدةٍ، دونَ التّركيز على العواملِ الأُخرى؛ كالدّين أو اللّغة أو الثّقافة، **والثّاني:** التّعميم، فإنّه يمكن أن يشمل القَرْنُ شعوبًا من أديانٍ ولُغاتٍ وثقافاتٍ مختلفة، خِلافَ الأُمّة الّتي تجمَعُها سِماتٌ مُشترَكة.

التّتبيرُ والإهلاكُ:

التّتبيرُ: التّدمير والتّكسير والتّفتيت؛ فكلّ شيءٍ كسَّرتَه وفَتَّتَه فقد تبَّرتَه[3]، أمّا الإهلاك: فيَحتَمِل معانيَ كثيرةً، فقد يكون يأتي بمعنى الموت، أو الفناء، أو العذاب، أو الذّهاب، أو الفساد[4].

كلُّ أمّةٍ كذَّبت رسولَها استحقَّت عذابًا مُدَمِّرًا وتفتيتًا عظيمًا

وعليه: فإنّ التّتبير أخصُّ منَ الإهلاك، وقد استُعمِل في الآية لإرادة التّدمير الشّامل، والإبادة العظيمة، ولم يُستعمَل لفظُ الإهلاك في هذا السّياق لاحتماله لمعانٍ كثيرة.

(1) العسكريّ، الفروقُ اللّغويّة، ص: 427.
(2) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 33.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (تبر).
(4) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 502.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»